بعد غياب مصر: هل تصبح ايران زعيمة العالم العربي؟

فرانسوا باسيلي*

التأييد والاعجاب الجارف بحزب الله وزعيمه السيد حسن نصر الله الذي تضاعف خلال الحرب الاخيرة مع اسرائيل والذي اكتسح الشارع العربي من المحيط للخليج ـ من ناحية ـ والتعاطف والتأييد من نفس الشارع العربي لمعركة ايران المستمرة مع الادارة الامريكية أساسا حول مشروع ايران النووي وما يثيره هذا المشروع في مخيلة الشارع العربي المحبط الذي طالت سنوات انكساره النفسي تحت وطأة هزائمه امام اعدائه الخارجيين ـ من الغزاة ـ والداخليين ـ من الطغاة معاً أصبحت تستدعي صعود سؤال لعله اغرب الاسئلة التي لم يكن يخطر على بال أحد منذ سنوات معدودة وهو: هل يمكن ان تصبح ايران قائدة للعالم العربي؟

ان بوادر امكانية هذه الزعامة الغريبة من قبل دولة غير عربية كايران بينها وبين العرب الى عهد قريب حروب هائلة التكاليف (الحرب الايرانية ـ العراقية التي كانت دول الخليج كلها تقف فيها خلف العراق خوفاً من النفوذ الايراني والتهديدات بتصدير الثورة الاسلامية الخمينية) كانت قد بدأت رياحها تتجمع في الافق العربي منذ سنوات، ثم تزايدت بسرعة مطردة في السنوات القليلة الماضية، في شكل يجمع بين التشكك الخجل وعدم التصديق من قبل شعوب وجماعات سياسية عربية تعودت على ان تنظر الى الفرس باعتبارهم اعداء تاريخيين، ولم تنظر اليهم يوما على انهم اصدقاء، فكيف يمكن تصور وضع تكون فيه ايران موضع اعجاب وفخر من قبل الجماهير العربية، حتى يصل الامر الى امكانية قبول ايران ليس فقط كدولة صديقة للعرب بل كدولة قائدة لهم!

ولكن الدلائل الواضحة على الساحة السياسية والدينية والعاطفية للشعوب العربية اليوم تكاد ان تفقأ اعين كل المحدقين المتأملين في هذه الساحة بذلك الخيال المتراقص لصورة هذه الزعامة القادمة وهي تكتسب ارضاً أوسع يوما بعد يوم لتصبح صورة مقبولة بل مرغوبة من قبل المزيد من الجماهير العربية المتضورة جوعا لأي بادرة من بوادر الزعامة والقيادة الجريئة القادرة على تحقيق ولو بعض الانتصارات المتواضعة امام من تراهم هذه الجماهير في صورة اعداء شيطانيين يملكون ترسانات هائلة من اسلحة القوة والتدمير والسيطرة يقومون بها على مدى اكثر من نصف قرن باذلال هذه الشعوب وسحق كرامتها في التراب.

انهم لهذا مستعدون لان يتبعوا اي قائد، ولو لم يكن مسلماً سنياً مثلهم ولكن شيعياً من «الرافضة» ما دام سيعيد لهم ببعض مواقفه، وافعاله، بعض الذي فقدوه من الكرامة المهدورة والانسانية المسحوقة.

ومن عندها يمكن ان يلومهم في هذا او يرى في تصرفهم هذا امرا غريبا مستهجناً؟!

ولذلك كان طبيعيا وانسانيا جدا ـ ان يثور المصلون بأحد جوامع مدينة الاسكندرية في وجه امام المسجد عندما بدأ يعظهم في خطبة الجمعة بألا يؤيدوا حزب الله وزعيمه حسن نصر الله لان هؤلاء من الشيعة وليسوا من السنة. لقد هاج عليه المصلون السنة لانه يريد حرمانهم من بريق الامل في زعامة جديدة تستطيع ان تتكلم ببعض الشجاعة وبعض الكبرياء، وتستطيع ان تؤكد كلامها بالفعل وتستطيع ان تتصدى لهؤلاء «الشياطين» الذين يعيثون في حياتهم بل وفي داخل بيوتهم فسادا وقتلا وتدميرا بلا رادع ولا مجير. هذا هو ما لم يفهمه امام المسجد المسكين!

منذ سقوط الخلافة الاسلامية العثمانية في مطلع القرن الماضي وانحسار تواجدها في العالم العربي، كان من الطبيعي ان تصبح مصر بثقلها التاريخي والجغرافي والبشري والحضاري هي المؤهلة لملء الفراغ الناجم، وقد قامت مصر بدورها هذا بجدارة طوال ثلثي القرن العشرين وحتى عبورها لخط بارليف في حرب العبور الباهرة عام 73. الى ان اخرج السادات مصر من موقعها الريادي العربي بمعاهدة كامب ديفيد ثم استمر دور مصر بعد ذلك في التقوقع والضمور حتى يمكن القول اليوم ان مصر قد فقدت دورها القيادي في العالم العربي منذ عشر سنوات على الاقل. وأتحدث هنا ليس فقط عن القيادة السياسية ولكن أيضا عن القيادة في كافة مناحيها من اقتصادية الى ثقافية الى اعلامية الى اخلاقية. والواقع ان كافة القوى الفاعلة في مصر اليوم تعترف بهذا الامر الجلل المحزن باستثناء مجموعة قليلة في قيادة الحزب الحاكم. وموقفها مفهوم بحكم موقعها ومصالحها. وقد كانت ايران دائما في موقع الجار القوى الحاسد أحيانا الطامع أحيانا المتآمر أحيانا أخرى وهي تنظر بغيرة الى تلك الساحة الشاسعة المجاورة لها المتلئة بالشعوب المسلمة مثلها المختلفة طائفيا عنها والتي كانت تلعب دور الزعامة فيها دولتان هما السعودية استنادا الى مكانتها الدينية ثم لاحقا الى ثروتها الهائلة، ومصر استنادا الى ثقلها الحضاري والبشري ثم في العهد الناصري الى قيادتها الثورية لحركة التحرر العربي والعالمي. ولم تكن لايران كونها فارسية وليست عربية وشيعية وليست سنية ان تنافس على هذه الزعامة العربية. ولذلك تراوحت مواقفها بين محاولة التقرب من مصر في العهد الملكي ـ حيث ذات يوم تزوج شاه ايران من الاميرة فريدة شقيقة ملك مصر فاروق الاول ومحاولة التصدي لمصر في المنطقة خلال فترة المد الناصري حيث وقف الشاه في المعسكر الامريكي حليفا لاسرائيل اذ وجد في هذا الموقع امكانية ضرب مصر والتي كانت تشكل ثوريتها خطرا على نظامه الامبراطوري. كانت عين ايران دائما على مصر. وعين مصر على ايران. وهما الدولتان الكبيرتان في المنطقة العربية باسرها. ولكن الثورة المصرية استطاعت بجاذبيتها الفذة ان تستولي على مشاعر الجماهير العربية بشكل توارى معه وجود ايران التي كانت تمثل في تلك الفترة جزءا من تحالف أعداء الامة.

وحينما قامت الثورة الاسلامية الخمينية في ايران انقلبت المواضع واصبحت ايران هي الدولة الثورية التي تهدد بتصدير ثورتها الى كافة المنطقة العربية بما فيها مصر. وكانت تلك الثورة هي بداية تحول انظار ومهج القطاعات الدينية في مصر والعالم العربي نحو ايران في نوع من التعاطف المبدئي. فقد تحولت ايران مع هذه الثورة من احدى دعائم التحالف الامريكي ـ الاسرائيلي في المنطقة الى اهم مناوئية. ولكن ايران بسبب نزعة ثورتها الى تصدير نموذجها الى الدول المجاورة تحولت الى خطر على الانظمة والشعوب العربية معا. واستطاع صدام حسين ان يكسب تاييدا عربيا باعتباره حامي البوابة العربية من الخطر الفارسي.

أمريكا وايران

أدت الحرب الامريكية المدمرة للعراق الى تقديم أعظم هدية الى ايران. اذ قامت بضرب عدوها اللدود الذي حاربها طوال الثمانينات اذ قدمت لايران مكاسب في ثلاث سنوات ما كانت تحلم بتحقيقها في عقود كاملة ولا استطاعت تحقيقها حتى في عهد الشاه وهو في أوج قوته وسطوته. وبهذا تعاظم فجاة دور ايران في الشان العراقي فيما تخلصت من أعباء مجابهة عدوها التاريخي العراق.

في نفس الوقت وعلى مدى ربع القرن الاخير كانت السياسة الامريكية المنحازة تماما الى اسرائيل المناصرة لها في احتلالها غير القانوني غير الاخلاقي للضفة وقطاع غزة وممارساتها المتوحشة ضد الفلسطينيين محولة حياتهم الى جحيم استنادا الى بطش القوة المسلحة وحدها بسلاح امريكي ـ كانت هذه السياسة تقدم للشعوب العربية عاما بعد عام ثم يوما بعد يوم الدلائل الواضحة على ان اسرائيل ـ مستقوية بامريكا ـ قد اصحبت وحشا يلغ في دم ضحاياه من الفلسطينيين كل يوم دون رادع من احد.

وهكذا قدمت السياسة الامريكية الخرقاء هدية أخرى لايران بتعزيزها لمشاعر الشعب الفلسطيني ومناصريه بالحاجة الى التحالف مع قوة تقوم بردع هذا الوحش الهائج. ومع خروج مصر من الساحة وتخليها عن دورها القيادي العربي الذي لعبته دائما طوال ثلاثة أرباع القرن الماضي أصبح هناك فراغ موحش في العالم العربي لم يكن ممكنا له ان يستمر طويلا دون دخول من يملأه.

ومن هنا كان طبيعيا ان تكون ايران هي هذا القائد المتقدم نحو فراغ العالم العربي لكي يمسك بزمام قيادته وادارة دفته.

لقد كان لكل من مصر وامريكا اذن دور أساس في تعظيم دور ايران في شرق اوسط جديد تتهيأ ايران لكي ترسمه على هواها وليس على الهوى الامريكي الذي كان يتخيله. لقد انقلب السحر على الساحر واصبح الجميع في العالم العربي ـ باستثناء اصوات قليلة متخوفة من صعود المد الديني الاسلامي والنفوذ الايراني ـ يتشوقون الى شرق اوسط جديد تقوده ايران كزعيمه للعالم العربي ـ اكتسبت مشروعية زعامتها بمواقفها المقاومة للتوحش الاسرائيلي وللسياسة الامريكية المساندة له.

يمكن القول بان مصر وامريكا هما المسؤولتان عن صنع وتعزيز وتعظيم ايران، مصر بتطوعها عبر العقدين الماضيين بالتخلي عن دورها القيادي العربي وقناعتها بدور الوسيط بين الأطراف المتنازعة! وأمريكا باتباعها سياسة بالغة التحيز في الصراع العربي ـ الاسرائيلي وتجاهلها بشكل لا انساني للحقوق الفلسطينية والاعتداءات الاسرائيلية المتواصلة. ثم بحربها في العراق التي حطمت دولة كانت تقف لايران بالمرصاد في الوقت الذي فشلت فيه الادارة الامريكية في خلق عراق جديد بديل كما كانت تحلم في رومانتيقية هي اقرب الى احلام المراهقين منها الى خطط السياسيين الحكماء.

وما لم تغير الادارة الامريكية الحالية والقادمة بعد سنتين من سياستها الفاشلة المنحازة للعدوان ضد الحقوق المشروعة للشعوب.. وما لم تستيقظ مصر من غيبوبة دور الوسيط لتستعيد دورها القيادي بالمنطقة، فان كل البوادر تشير الى ان ايران قادمة لتصبح قائدة للعالم العربي، برضا ورغبة الشعوب العربية التي لم تعد ترى في حكامها زعامة حقيقية تدافع عن مصالحها وعن وجودها وعن حقوقها امام الغزاة من الخارج فيما هي تجلس فوق مجتمعات فاشلة فاسدة مريضة بالعاهات والسرطانات من الداخل.

* كاتب من مصر يقيم بنيويورك
fbasili@gmail.com

محاكمة الانفال والصراع بين امريكا وايران

محمد خليفة*

عندما أُلقي القبض على الرئيس العراقي السابق صدام حسين من قِبل القوات الامريكية اواخر عام 2003، ثار تساؤل كبير لدى الادارة الامريكية حول التهمة التي ستوجه الى صدام، فهل هو مجرم حرب، ام انه اسير حرب؟ لكن سرعان ما حسمت هذه الادارة امرها وقررت على لسان وزير الدفاع دونالد رامسفيلد اعتبار صدام اسير حرب. ووفقاً لاتفاقيات جنيف الخاصة باسرى الحرب، فانه يجب اطلاق سراح الاسرى بعد انتهاء الحرب.

وانطلاقاً من ذلك، كان يجب اطلاق سراح صدام مباشرة، لان الحرب بين العراق والولايات المتحدة كانت قد انتهت. لكن الولايات المتحدة لم تفعل ذلك، بل قررت الاستمرار في احتجازه، وفي نفس الوقت، كانت تفكر في عقد محاكمة له لتجعله عبرة لكل من يتجرأ على معاندتها في العالم. وبدأ الحديث عن محاكمة صدام حول مجموعة من القضايا اولاها، ما يسمى عملية الانفال ضد الكرد في شمال العراق عام 1987، وقمع انتفاضة الشيعة في الجنوب عام 1991، واجتياح الكويت عام 1990، والحرب ضد ايران عام 1980. الآن كل هذه القضايا نحّيت جانباً، وجيء بقضية منسية لم يذكرها احد وهي قضية ما يسمى «مذبحة الدجيل».

وعقدت المحكمة التي كان في واجهتها قضاة عراقيون عرب وكرد، وفي خلفيتها كانت هناك مجموعة من القضاة الامريكيين الذين كانوا يحركون المحاكمة من وراء الستار. وتم اخراج هذه المحاكمة بطريقة مسرحية، فكان هناك تحكّم بعرض وقائع المحاكمة، حيث كان يُعرض منها بالصوت والصورة ما يراد ان يسمعه العراقيون والعالم اجمع، وكان يحجب منها ما يراد اخفاؤه. وهكذا جرت هذه المحاكمة واستمرت اشهراً عدّة حتى وصلت هيئة القضاة الى مرحلة اصدار الحكم. لكن هذا الحكم لم يصدر لأن الداعي الرسمي لهذه المحاكمة لا يريد لها ان تنتهي الآن، لانها لم تف بالمطلوب بعد. فبدأ الحديث عن محاكمة صدام حول عملية الانفال، واعيد فتح ابواب المحاكمة من جديد. والواقع ان اثارة هذه القضية الآن يطرح جملة تساؤلات حول المغزى من وراء ذلك، ولماذا ارادت الولايات المتحدة فتح هذا الملف بعد ان كانت قد طوته في بداية المحاكمة؟

لا شك ان فتح هذا الملف يرتبط بصراع الولايات المتحدة مع ايران حول البرنامج الذري الايراني، هذا الصراع الذي اصبحت الولايات المتحدة عاجزة عن حسمه بالوسائل الدبلوماسية او العسكرية في الوقت الذي ترى نفسها فيه قد خسرت حرب العراق لمصلحة ايران، ذلك ان جريمة الانفال وقعت خلال الحرب بين العراق وايران. ففي نيسان (ابريل) من عام 1987 حدث هجوم ايراني على مناطق شمال العراق الكردية بهدف الاستيلاء عليها، وكان هناك متمردون اكراد يدعمون القوات الايرانية في تقدّمها. وفي 16 نيسان (ابريل) قامت طائرات بالقاء قنابل من النابالم الحارق على عدد من القرى الكردية المتاخمة للحدود مما ادّى الى حدوث مذبحة في قرية حلبجة التي قُتل وجُرح فيها المئات.

وقد نفت الحكومة العراقية آنذاك ان تكون لها يد في هذه المذبحة، لكن كان هناك اعتقاد عام بان هذه الحكومة هي الوحيدة المسؤولة عنها. وفي اثناء المحاكمة الجديدة لصدام، ادلى شاهد كردي بشهادة قال فيها: ان الطائرات التي القت القنابل كانت عراقية، فسأله محامي الدفاع عن صدام وكيف عرف انها عراقية، فقال الشاهد، لأن قريته كان فيها مقاتلون اكراد، وطبعاً هذه الشهادة غير كافية لتحديد هوية هذه الطائرات. ويبدو ان هذه المسألة لن تُحسم من خلال الشهادة، بل لا بد من دليل ملموس يؤكد بشكل قاطع ان هذه الطائرات عراقية. والواقع ان الذي يملك الدليل حول هوية هذه الطائرات هو الولايات المتحدة التي كانت تراقب مجريات تلك الحرب من خلال اقمار التجسس التابعة لها والتي لم تكن تفارق سماء العراق وايران، وقد حددت هذه الاقمار هوية الطائرات التي هي ايرانية لا عراقية، وربما من اجل هذا اعيد فتح ملف الانفال لكي توجّه التهمة هذه المرة لايران لا لصدام الذي أُدين بقضية الدجيل. وربما قد نشهد مفاجآت في هذه المحاكمة التي تنحرف عن مسارها لكي يصار الى ادخال ايران كطرف متهم في هذه القضية. فاذا أُدينت فيها، فان القضية ستحال حتماً الى محكمة الجنايات الدولية لمحاكمة اركان النظام الايراني الذين كانوا اثناء حدوث تلك المذبحة، والذين ما زالوا الى الآن في هرم السلطة، ومن ثم المطالبة بتسليم هؤلاء المسؤولين او فرض عقوبات دولية على ايران اذا لم يسلّموا. وهكذا، فان الولايات المتحدة ستخلق مشكلة جديدة لايران لتضاف الى المشاكل الاخرى التي خلقتها لها من قبل.

لكن هذه المشكلة الجديدة ستكون ذات بُعد انساني يرتبط بمذبحة قد حدثت وادانة النظام الايراني فيها ستعطي انطباعاً للعالم اجمع بان ايران خطر على المجتمع الدولي وانه يجب حرمانها قدر المستطاع من امتلاك السلاح النووي الذي تسعى الى امتلاكه، ومحكمة الانفال المرهونة بادارة امريكا ستتناول الوقائع السياسية اكثر منها العدالة والحقوق القانونية بهدف تحقيق اهداف سياسية، واهم هدف هو اسدال الستار امام المحاكم ومؤسسات حقوق الانسان ودور ايران في قضية الانفال، وكذلك العمل على تكريس الكراهية والانقسام والمزايدات الطائفية وتمزيق نسيج وحدة العراق.

* كاتب من الامارات
com.medkhalifa@maktoob

احداث المواجهة بين اسرائيل وحزب الله غيرّت في استراتيجية الحرب

معقل زهور عدي *

من أجل فهم التغييرات العميقة التي أدخلتها الحرب في لبنان على استراتيجية الحرب تتوجب العودة الى عنصرين هامين:

العنصر الأول: استراتيجية الحرب الاسرائيلية التقليدية ضد العرب.

العنصر الثاني: الاستراتيجية الأمريكية الجديدة للهيمنة على العالم وتطبيقاتها في أفغانستان والعراق.

في حرب لبنان شهدنا محاولة اسرائيلية للاستفادة من خبرة الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان وبالتالي لتوليد مفاهيم استراتيجية معدلة تطبق للمرة الأولى في الصراع العربي ـ الصهيوني.

مكونات استراتيجية الحرب الاسرائيلية التقليدية:

أولا: الحرب الاستباقية وتحقيق المفاجأة.

ثانيا: سرعة الحسم عن طريق الافراط في استعمال القوة ودقة التخطيط.

ثالثا: نقل المعركة الى أرض الخصم، وابقاء الداخل الاسرائيلي بعيدا عنها.

رابعا: الاعتماد على التفوق الجوي والتقني والمعلوماتي.

خامسا: التقدم السريع للدبابات بعد تدمير معظم قوة الخصم بالقصف الجوي والمدفعي لتثبيت الانتصار واحتلال الأرض وتصفية جيوب المقاومة.

لم تتأثر تلك الاستراتيجية كثيرا بحرب 1973، فدروس تلك الحرب بالنسبة لاسرائيل تركزت في تطوير سلاح الجو وحل مشكلة الصواريخ المضادة التي ظهرت في حرب 1973، وادخال أحدث التقنيات العسكرية والمعلوماتية بحيث تزداد الفجوة باستمرار بين اسرائيل والدول العربية خاصة بالنسبة للتفوق الجوي.

ويمكن أن نضيف لما سبق عنصرا بالغ الأهمية يتمثل في منع حدوث مواجهة على أكثر من جبهة في وقت واحد مع التخطيط لاحتمال حصولها على أسوأ الاحتمالات.

تستند استراتيجية الولايات المتحدة في الحروب المحدودة على الاستفادة التامة من الميزات التقنية التي تم تطويرها خلال العقدين السابقين في المجال العسكري وتتضمن السيطرة الجوية المطلقة ودقة الاستطلاع وتحديد الأهداف على مدار الساعة، ودقة التصويب، وقوة التدمير الهائلة للقنابل والصواريخ الحديثة (استعمال اليورانيوم المنضب) كل ذلك بدا وكأنه يلغي مفهوم المعركة التقليدية ويحولها الى شيء أشبه بألعاب الكومبيوتر حيث يتم تدمير الخصم عن بعد، بينما تنحصر مهمة القوات البرية المدعومة بطائرات الهليكوبتر بتصفية جيوب المقاومة المتبقية وفرض واقع عسكري وسياسي وفق هدف الحرب.

حرب بدون خسائر بشرية تقريبا يتم حسمها بسرعة ولا مانع من توسيع التدمير لنشر الرعب ودفع الخصم لاستسلام سريع.

طبقت تلك المفاهيم في يوغوسلافيا أولا بنجاح تام ثم في أفغانستان حيث نجحت في تمزيق قوى طالبان بفعل القصف الجوي العنيف المتواصل وتقدمت القوات البرية دون مقاومة كبيرة باستثناء جيوب محدودة من المقاتلين وتم احتلال أفغانستان بغض النظر عما حدث بعد ذلك حيث أعادت طالبان تنظيم نفسها مع الزمن وتشكل اليوم مشكلة حقيقية أمام السيطرة الأمريكية.

في العراق حققت الاستراتيجية الأمريكية للحرب انجازا آخر حيث تم احتلال العراق بخسائر محدودة وانفرط عقد القوات العراقية قبل دخول القوات الأمريكية الى بغداد وبينما ركزت القيادة العراقية حول بغداد أفضل قواتها لم تستطع تلك القوات فعل الشيء الكثير في مواجهة قصف الطائرات المقاتلة وطائرات الهليكوبتر ومدافع الدبابات الحديثة ذات المدى الأكبر والدقة الأعلى بما لا يقاس بمثيلتها العراقية. وكما في أفغانستان لن نتحدث هنا عن المقاومة التي حدثت بعد ذلك وأثرها في فشل الحملة على العراق.

رسخت التجارب السابقة فاعلية استراتيجية الحرب الأمريكية ودفعت اسرائيل لاعتمادها في مواجهتها القادمة التي كانت تخطط لها مع حزب الله. مع وعي عدم ارتكاب الخطأ الأمريكي في اطالة الاحتلال والتعرض لاستنزاف المقاومة. حين بدأت اسرائيل الحرب قامت بعزل المدن والبلدات والقرى بقصف الطرق والجسور بهدف عزل المقاومة عن قيادتها وعن بعضها البعض بحيث تتحول الى شرائم دون توجيه ودون دعم لوجستي، ووجهت أهمية خاصة لقصف مقرات حزب الله ومؤسساته وما حولها من أبنية ومرافق لشل القيادة العسكرية والسياسية وعزلها وتفكيكها مستخدمة سلاح التدمير المرعب تماما كما فعلت الولايات المتحدة مع القيادة العراقية حيث استخدمت تعبير الصدمة والرعب كعنوان لحملتها العسكرية على العراق. انتقلت اسرائيل بعد ذلك لقصف المواقع التي تم رصدها كمواقع لتمركز قوى المقاومة وتم قصفها وما حولها بعنف شديد.

فوجئت اسرائيل بأن اطلاق الصواريخ على المستوطنات والمدن الشمالية لم يتوقف أو يضعف، فردت بتشديد القصف الجوي وتوسيعه ليشمل البنية التحتية المدنية ومن ثم وبعد أن استنفذ القصف الجوي والمدفعي أهدافه بحيث لم يبق هدف مرصود أو محتمل دون ان يدمر عدة مرات، أصبح التقدم البري محتما خاصة وأن الصواريخ لم تتوقف فوق اسرائيل.

أثناء التقدم البري حدثت أكبر المفاجآت وأهمها على الاطلاق، فبخلاف ما حصل مع الأمريكيين في العراق وأفغانستان لم يتمكن القصف الجوي المكثف من تحويل المقاتلين الى شرائم تائهة سهلة للاستسلام أو القتل.

هكذا تم تدمير عشرات الدبابات (حوالي 130 دبابة) وقتل مئات الجنود وجرح الآلاف وهي أرقام مذهلة نسبة لميزان القوى بين الطرفين.

لا شك أن اسرائيل كانت تتوقع سيناريو مختلفا تماما حيث يتم قتل وأسر الألوف من عناصر حزب الله بمن فيهم بعض القيادات الهامة ودفع مجتمع الجنوب خاصة واللبنانيين عموما للانفضاض من حول المقاومة واعتبارها سببا في الكارثة وتصفيتها سياسيا بعد ان تتم تصفيتها عسكريا، وكنتيجة مباشرة فرض شروط الهزيمة على الحكومة اللبنانية ويتضمن ذلك شريطا عازلا بمراقبة اسرائيلية وفتح الطريق أمام معاهدة سلام مفروضة من طرف واحد. هكذا اذا أردنا معرفة حجم الانتصار للمقاومة يتوجب في البدء تقدير ما تريده اسرائيل وتتوقعه من حرب وحشية وشاملة كهذه.

ما هي المفاهيم الاستراتيجية الجديدة المنبثقة عن حرب لبنان؟

يمكن القول ان الاستراتيجية الأمريكية ـ الاسرائيلية أصيبت في الصميم، حيث عادت الحرب لتصبح معركة مواجهة بين البشر، وعادت عناصر الايمان والقوة الأخلاقية والشجاعة وارادة القتال للظهور بعد ان ساد الاعتقاد طويلا بتحييدها بفعل التكنولوجيا العسكرية.

ثانيا: ثبت ان القصف الجوي غير قادر على حسم المعركة، وان تأثيره على المقاتلين المتحصنين جيدا تحت الأرض محدود.

ثالثا: أظهرت الحرب فاعلية الصواريخ المضادة للدبابات كما لم تظهر من قبل، وذلك يعني أن بمقدور مقاتلين مصممين على القتال ومتمرسين باستعمال تلك الصواريخ تحييد سلاح الدبابات في المعركة وتلك ثغرة كبيرة تم فتحها في استراتيجية الحرب الاسرائيلية. لقد سبق أن قام سلاح الصواريخ المضادة للدبابات في مصر بانجاز كبير بعد عبور قناة السويس في حرب 1973 حيث دمر الهجوم البري الاسرائيلي المضاد وأعطب مئات الدبابات (حوالي 400 دبابة) لكن اسرائيل قامت بعد ذلك بمحاولات تحصين اضافي لدباباتها واعتمدت على الطائرات وطائرات الهليكوبتر في مواجهة خطر الصواريخ المضادة للدبابات، أما اليوم فقد ثبت ان لا شيء يمكن ان يحد قدرة المقاتلين حملة الصواريخ المضادة المصممين على القتال الذين يعرفون كيف يختبئون ومتى يظهرون على ايقاع افدح الخسائر بالدبابات وجعلها فخا جهنميا للجنود.

رابعا: أظهرت الحرب فاعلية حرب العصابات في مواجهة الاستراتيجية الأمريكية ـ الاسرائيلية، فالمجموعات الصغيرة 5ـ15 مقاتلا يمكن ان تختبئ فترات طويلة في الانفاق مع ذخيرتها ومؤونتها لتخرج في الوقت المناسب بخلاف الجيوش النظامية التي تشكل أهدافا سهلة للتدمير.

خامسا: كان المتوقع ان يتقدم الجيش الاسرائيلي مع بعض المقاومة دون ان تشكل المقاومة عقبة كأداء تدفعه لقبول وقف النار دون تحقيق أهدافه، وكانت مفاجأة كبيرة أن تصل المقاومة الى حد افشال الحملة عسكريا.

ذلك يعني اختراق استراتيجية الحرب الأمريكية ـ الاسرائيلية، وانه كان بالامكان تغيير مجرى الحرب في العراق لو تم القتال بنفس الطريقة التي تم بها في جنوب لبنان مع توسيعه حسب امكانات العراق.

سوف يمضي وقت طويل قبل ان تنبسط كل الدلالات الاستراتيجية والسياسية لحرب لبنان لكن ما من شك في أنها أحدثت ولأول مرة اختراقا في استراتيجية الحرب الاسرائيلية والأمريكية وآذنت بقرب نهاية تلك الاستراتيجية وبزوغ عصر جديد تعود فيه عناصر القوة لتتمحور حول الانسان بما يحمله من قيم واخلاق وحضارة وايمان.

* كاتب من سوريا

حكومات تكنوقراطية وأوطان زجاجية

د. مها النجار *

قالها بوش منذ أيام، وسعت إليها أمريكا منذ فترة!! يريد حكومة تكنوقراط بدلا من حكومة حماس، تماشيا مع سياسة أمريكا في حكم العالم من خلال حكومات تكنوقراطية من رجال الأعمال والصناعة هم بالأساس صناعة أمريكية، تكون لهم مصالح اقتصادية شخصية مع أمريكا كما يكون اقتصاد دولهم كله تابعا تبعية كاملة للاقتصاد الأمريكي، وبالتالي لايستطيع اى وزير أو أي فرد في هذه الحكومات التكنوقراطية أن ينبس ببنت شفه بشيء لا يتماشى والمصالح الأمريكية!! حكومات لا يهتم أفرادها غالبا بالسياسة حتى في ظل الأزمات والحروب إلا بما يخدم ويدعم مصالحهم الشخصية وبما يكفل لأنظمتهم أن تعيش حياة بدون متاعب، شرط أن يسقطوا من قواميسهم كل معاني الشرف الوطني والسيادة الوطنية والاستقلال والحرية والدفاع عن المقدسات ومناصرة المظلومين والدفاع عن مقومات حضاراتهم ودينهم وأيديولوجياتهم المتعددة. كل هذه المعاني لا يهتم بها عادة أفراد الحكومات التكنوقراطية وهذا هو ما تنبناه أمريكا اليوم في فلسطين وسورية ولبنان وقبل ذلك في مصر والسعودية ودول الخليج منذ عدة سنوات، أنها سعت وتسعى إلى صناعة رؤوس أموال جبانة، وبيوت التكنوقراط عادة ما تكون من زجاج، وبالتالي لن يستطيعوا أن يقذفوا حتى الحجارة على أعدائهم مهما فعل بهم أعداؤهم، لأن المثل المصري عندنا يقول: ـ أن من كان بيته من زجاج لا يقذف الناس بالحجارة!!!! ومن هذا المنطلق أقول لا بد من صحوة عربية كبرى لكي نعمل لأنفسنا رزنامة خاصة بنا وخطة إستراتيجية شاملة يتم العمل بها وفق برنامج عربي ومصالح عربية بعيدا عن التبعية حتى نكون في النهاية أصحاب القرار ندافع عن أرضنا وشرفنا ومقدساتنا وأيديولوجياتنا وفكرنا وديننا الذي نعتز به ونموت من أجله.

* كاتبة من مصر

هل انتهى الدور الاقليمي لسورية وخرجت من المولد بلا حمص؟

د. محمد عجلاني*

1ـ لا شك ان الرئيس الراحل حافظ الاسد كان يرغب بان يكون خليفة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وان يلعب دورا اقليميا شبيها بالدور الذي لعبه جمال عبد الناصر، ولكنه تناسى او غاب عن ذاكرة الرئيس الراحل حافظ الاسد ان الدور الاقليمي تخلقه الظروف ولا يسعى اليه الشخص، ولا يمكن لهذا الدور ان ينتزع عن طريق المفاوضات داخل الكواليس السياسية او عبر المبعوثين الدوليين. لذلك وحسب تحليلي المتواضع فإن الدور الاقليمي لسورية مع الرئيس الراحل حافظ الاسد ولد مشوها، لأنه لم ينتزع عبر قرارات صعبة وجريئة كما هو عليه الحال بالنسبة لهوغو شافيز رئيس فنزويلا.

2ـ كان لهذا الدور ان يكون ناجحاً لو عمل الرئيس الراحل مع حلفائه التقدميين، او الحلفاء الحقيقيين لسورية امثال الشهيد الراحل كمال جنبلاط وياسر عرفات، والعماد ميشال عون، الذي اصطدم بهم كلهم، اضافة الى صدام حسين، لذلك ولد مرة اخرى هذا الدور مشوهاً لأنه كان ضد مسيرة التاريخ، واصطدم بحلفاء تقليديين كان بإمكانهم ان يوطدوا ويعضدوا هذا الدور. وصدامات الاخوة او الديكة كانت كلها تصب لصالح اسرائيل وامريكا، ولم تصوب البندقية الحقيقية الى صدر عدوه الرئيسي.

3ـ نال هذا الدور الاقليمي لسورية وفي عهد الرئيس الراحل حافظ الاسد تغطية دولية امريكية في لبنان، كذلك تغطية اقليمية من النظامين السعودي والمصري، حيث كانت المشاورات جارية بين دمشق والرياض والقاهرة على قدم وساق وعلى جميع الاصعدة والمستويات لكن اليوم قررت كل من الرياض والقاهرة استبدال دمشق بعمان هذا كل ما في الأمر.

4ـ الغريب ان هذا الدور الاقليمي ارتبط بشخصية هامة لعبت دورا مهما في تاريخ سورية المقامرة ورغم اهمية هذا الدور وقيمته، الا ان اللاعب الرئيسي في هذا الدور لم يترك لا مذكرات خطية، ولا مقابلات مكتوبة يشرح فيها اهمية هذا الدور وعلى اي اسس وقواعد يرتكز، حتى لا يترك خليفته في جهل كامل، ولكن الذي حصل هو العكس تماما فباختفاء الاسد الأب اختفت معه كل اسرار هذا الدور.

5ـ ذهب الرئيس الراحل الى لبنان ليستفرد بورقة اقليمية مهمة، وليلعب ورقة مناطحة مع الدول الكبرى من أجل استرجاع الجولان، اي سار بطريق متعرج من أجل استرداد ارضه، ونسي او تناسى ان الطريق المستقيم هو اقصر الطرق لاستعادة الجولان. هذا ما فعله اليوم سماحة الشيخ حسن نصر الله، وما فعله سابقا جمال عبد الناصر. ولا اعتقد ان الرئيس الراحل حافظ الاسد كان اكثر وعيا وادراكا من هذين القائدين العربيين.

6ـ الممارسات السورية الاخيرة في لبنان دلت كلها على ان الوجود السوري في لبنان لم يعد من اجل هدف محدد، وانما ينزع نحو الاستقرار في هذا البلد، وهنا كانت الفاجعة الكبرى، ومن هنا كانت الانتفاضة اللبنانية التي انتقدناها لانه لا يمكن للوجود السوري العسكري ان يكون دائما في بلد ليس بلده، وانما هذا الوجود يجب ان يكون على حدود جولانه وداخل التراب السوري.

وورث خليفة الرئيس الاسد ابنه الدكتور بشار الاسد دورا اقليميا مشوها تبعثرت ملامحه، وضاعت معالمه، وبدلا من ان يصحح القائد الشاب مسار هذا الدور، رأيناه ينخرط فيه اكثر بأكثر ويرتكب اخطاء قاتلة نادرا ما ارتكبها الأب، ومن بينها:

1ـ اثبت القائد الشاب ضعفا كبيرا لدرجة السذاجة في التعامل مع الشخصيات السياسية المختلفة من الشهيد رفيق الحريري الى جاك شيراك مرورا حتى بعمه رفعت الاسد، واثبت عدم فهم في ادراك حجم وأهمية ووزن الرجال الذين يتعامل معهم، فشيراك على سبيل المثال كان يتودد الى عائلة الاسد الأب والابن وقام بخطوات كبيرة تجاههم، وكان ينتظر من القائد الشاب ان يرد الجميل له، وان يمنح الشركات الفرنسية امتيازات اقتصادية في سورية، ولكن الاسد الابن لم يدرك انه لا توجد لا صداقة دائمة بين الزعماء، وانما هناك مصالح دائمة بين الدول.

2ـ اثبت الرئيس الشاب عدم خبرة وادراك لمتغيرات دولية هامة، ولم ينحن للرياح القوية لكي تمر، كما حصل بعد تسونامي 11 ايلول (سبتمبر) 2001، ولم يدرك مدى البعد الكبير لقواعد اللعبة الجديدة في الشرق الاوسط، ولم يفهم ان والده كان يراعي الغطاء الدولي الذي مكنه من لعب دوره الاقليمي.

3ـ على جميع الاحوال، سحب الغطاء الدولي عن سورية بعد احداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) 2001، وكان على الرئيس الشاب ان يواجه هذه الرياح العتيدة، او يتلاءم مع المتطلبات الجديدة، وهو لم يفعل لا هذه ولا تلك فضاع وضاع معه الدور الاقليمي او ما تبقى من الدور الاقليمي لسورية.

4ـ على جميع الاحوال ولد هذا الدور كما قلت مشوها، وضد مجرى التاريخ، وعلى القيادة السورية ان لا تندب الماضي، وانما تلتفت الى المستقبل ولا تورط نفسها في متاهات داخلية، كالتهجم المستمر على جماعة 14 آذار او 14 شباط، انه شأن لبناني داخلي يجب ان تترفع عنه، وتلتفت الى الجولان الحبيب وبحيرة طبرية وتجند نفسها من أجل تحرير هذا التراب العزيز، والمعركة ليست معركة جيل